تعريفات علم الكلام

اختلفت تعريفات علم الكلام ولا ضرورة لإحصائها وإنما نكتفي بذكر ثلاثة تعريفات هي الأشهر هنا لنكون من خلالها صورة عن هذا العلم تجعله أكثر وضوحا :

أ ـ فقيل إن الكلام هو : علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينيّة، بإيراد الحجج، ودفع الشبهة. والمراد بالعقائد، ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينيّة، المنسوبة إلى دين النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

ب ـ وعرّفه ابن خلدون في مقدّمته، بأنه " علم يتضمّن الحجاج عن العقائد الإيمانيّة، بالأدلة العقليّة، والردّ على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنّة. وفي هذا التعريف رغم حسن شطره الأول ففيه نظر، لأنه بشطره الثاني أخرج المخالف عن عنوان علم الكلام وهذا غريب.

ج ـ وعرّفه الجرجانيّ بأنه، "علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى، وصفاته، وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام" وهذا التعريف منسوب للغزالي. وقد أدخل قيد قانون الإسلام لإخراج الفلسفة الإلهيّة من التعريف، فإنها تبحث عن ذلك معتمدة على القواعد العقليّة الفلسفيّة.

والملاحظ في هذه التعريفات، أنّ بعضها ناظرٌ إلى المواضيع التي يدور البحث عنها في هذا العلم، وبعضا آخر ناظرٌ إلى الغاية المرجوّة منه. والتعريف الراجح والاولى بالقبول هوالتعريف الأول.

ظهور المصطلح

إنّ هناك شواهد في الروايات تدل على ان اصطلاح الكلام والمتكلم أو المتكلمين كان معروفا في القرن الثاني الإسلامي، فلنأت بنماذج منها : ١ ـ جاء جاثليق نصراني إلى هشام بن الحكم (ت، ١٧٩)، ليناظره حول الإسلام والمسيحية فقال له: (ما بقي من المسلمين أحد ممن يذكر بالعلم والكلام إلا وقد ناظرته في النصرانية فما عندهم شيء وقدجئت أناظرك في الإسلام.

٢ ـ جاء ابن أبي العوجاء إلى الإمام الصادق (ع)، ليناظره حول العقائد الدينية، ولكن شخصية الإمام العلمية والمعنوية أحدثت فيه هيبة واضطرابا فامتنع عن الابتداء بالتكلم . فقال الإمام (ع): لماذا لا تتكلم؟ فأجاب بقوله: «إني شاهدت العلماء، وناظرت المتكلمين، فما تداخلني هيبة قط مثلما تداخلني من هيبتك».

جاء رجل من أهل الشام إلى أبي عبدالله الصادق(ع)، وقال: «إني رجل صاحب كلام وفقه وفرائض، وقد جئت لمناظرة أصحابك». ولم يكن عنده من أصحابه غير يونس بن يعقوب، ولم يكن من المتكلمين، فقال له: لو كنت تحسن الكلام كلمته، فقال يونس: إني سمعتك تنهى عن الكلام وتقول : ويل لأصحاب الكلام . فقال(ع): إنما قلت: ويل لهم إن تركوا ما أقول وذهبوا إلى ما يريدون، ثم قال ليونس: اخرج إلى الباب فانظر من ترى من المتكلمين فأدخله. قال يونس : فأدخلت حمران بن اعين وكان يحسن الكلام، وأدخلت الأحول، وكان يحسن الكلام وأدخلت هشام بن سالم وكان يحسن الكلام، وأدخلت قيس بن الماصر ، وكان عندي أحسنهم كلاما، وكان قد تعلم الكلام من علي بن الحسين (ع) ... إلى آخر الحديث

وبملاحظة ما تقدّم من الشواهد نجد أنه لا قيمة لما ذكره الشهرستاني في تاريخ تسمية علم العقائد بـ «الكلام»، حيث قال : ثم طالع بعد ذلك شيوٌ المعتزلة كتب الفلاسفة، حين نشرت أيام المأمون، فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فنا من فنون العلم، وسمتها باسم الكلام .

فيلاحظ عليه ، أن المأمون توفي سنة ٢١٨ هـ مع أن الإمام الصادق (ع) استشهد عام ١٤٨ هـ ، وقد عرفت أن مصطلح الكلام كان معروفا في عصره، وذلك في النصف الأول من القرن الثاني الهجري.